

صورة الأمير عبد القادر من خلال الكتابات المغربية

الأستاذ: بونقاب مختار
جامعة معسكر - الجزائر

Abstract :

This Article Deals with teh last period of A.E.K's Revolution particularly Emir's Relations with the Kingdom of Morocco.

This Relation passed through two steps :

Good and Frank Relationship

Conflictual Relationship and quarrel.

This is explained by king of Morocco's jealousy of the Emir's personality and intrusion of France which consisted of telling the king of Morocco that Emir A.E.K has ambition of taking over the Kingdom of Morocco. That was the motive that the king expelled the Emir from his terretory and fought him.

رغم تعدد الدراسات وتنوعها بخصوص مقاومة الأمير عبد القادر، وشخصيته إلا أنه لا تزال بعض الجوانب منها يشوبها الغموض وتسودها الضبابية وبخاصة الفترة التي قضاها الأمير بالمغرب الأقصى مع أواخر عهد مقاومته.

هذه الفترة التي انتهت بطلب الأمير الأمان من السلطة الفرنسية بعد أن ضاقت به السبل. وساءت علاقاته مع سلطان المغرب. فما هي ظروف وعوامل نهاية مقاومة الأمير؟ وما طبيعة علاقة الأمير بالمغرب الأقصى، السلطان من ناحية، والقبائل المغربية من ناحية ثانية وكيف تنظر الدراسات المغربية للأمير ولثورة الأمير؟ وما مدى مساهمة أو محدودية دور المغرب في ثورة الأمير عبد القادر؟

لدراسة هذا الموضوع حاولنا في هذه الورقة استعراض مراحل علاقات الأمير بالمغرب الأقصى في مختلف تطوراتها مركزين على نقاط التبدل والتحول الذي طرأ على هذه العلاقة مبينين وجهات النظر المغربية ومقارنتها بالكتابات الجزائرية أو الأجنبية

وقد اعتمدنا في ذلك كله على جملة من الكتابات والدراسات أهمها:

الناصرى، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى
الحجوى محمد، اختصار الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام
عبد الله العروى، يحمل تاريخ المغرب
محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب
بوزيان عمر، علاقة المغرب مع ثورة الأمير عبد القادر
قدور بوزيانى، في مجموع مقالاته عن علاقة المغرب بالجزائر منشورة في مجلة مكناسة العدد: 10- العدد: 12.
يمكننا أن نميز بين مرحلتين أساسيتين في علاقات الأمير بالمغرب عامة وبالسلطان عبد الرحمن
خاصة و ذلك خلال فترة ثورة الأمير: 1832-1847

المرحلة الأولى ما بين: 1832-1843

المرحلة الثانية ما بين: 1844-1847.

ظهور الأمير عبد القادر:

في ظل الفراغ السياسي الذي عرفته المنطقة الغربية من الأيالة الجزائرية جراء الاحتلال الفرنسي،
اتجهت الأنظار إلى الشيخ محي الدين ليقود المقاومة الجزائرية فاعتذر لكبر سنه ورشح ابنه عبد القادر
وأخذ البيعة له. وحتى يعطي الأمير صفة الشرعية لاختيار أعيان ووجهاء المنطقة أصر على البيعة الخاصة
(27 نوفمبر 1832) ثم البيعة العامة (04 فبراير 1833) وبذلك اتخذت البيعة طابعا وطنيا وصبغة شرعية
لكونها شملت العديد من قبائل البلاد⁽¹⁾.

وقد صرح الأمير بعد انتخابه قائلاً: " وافقت على منصب الأمير أملا أن يكون أداء لتوحيد
المسلمين، لمنع النزاعات والخلافات بينهم وذلك ضمانا لسلامة الطرق، وكذا لتحديد النشاطات التي
تتعارض والشرعية السمحاء، ولحماية البلاد من العدو، وإقامة شريعة وعدالة للقوي والضعيف على حد
سواء...وأعلموا أن هدفي الأسمى هو توحيد الجماعة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأنا أومن
بالله"⁽²⁾. ومن هذا التصريح يتضح لنا أولويات الأمير والتي تمثلت فيما يلي:

- وحدة المسلمين
- محاربة العدو المحتل
- تطبيق العدالة الاجتماعية

ونستطيع أن نستنتج ظروف الجزائريين وأحوالهم في بداية الاحتلال سواء نتيجة التدخل الفرنسي، أو بسبب تراكمات نتجت عن السياسة العثمانية في الجزائر تمثلت في الصراعات والخلافات وانعدام الأمن. وفي هذا السياق يذكر محمد السعيد: " فلما انقضت دولة الأتراك بأرضنا فسد أهلها وكثر الهرج والهرج، وصار كل شيء يقاتل ويحارب جاره فأفسدت الطرقات وتقطعت بهم السبل من حدود تونس إلى أرض وحدة... فأسندوا أمرهم إلى سلطان المغرب... فلم يحصلوا على طائل من جهته لعجزه عن القيام بأمرهم وكثرة الغوغاء بأرضه".⁽³⁾

تمكن الأمير من توحيد قبائل الغرب الجزائري في كتلة سياسية واحدة نظرا لعبقرية تنظيماته وإبداعه، وبفعل شخصيته القوية ودوره السياسي⁽⁴⁾.

وذكر العروي أن عبد القادر تحول في الحين من الطالب المتصوف إلى قائد مقتدر خبير بتعبئة الجنود وتحريضهم على القتال... وأنه كان يسير في تجربته أي بناء دولة عربية في الجزائر - بحزم ونجاح⁽⁵⁾. إن الكتابات المغربية تشيد بشخصية الأمير ومساهمته في بناء الدولة الجزائرية الحديثة. فهذا صاحب علاقة المغرب مع ثورة الأمير يذكر: "يعتبر عبد القادر الجزائري بحق روح الثورة الجزائرية... حيث استطاع إزعاج فرنسا لمدة سنوات بفضل تنظيماته الإدارية والعسكرية الدقيقة. وكذلك بفضل بطولاته العسكرية، مما جعله يخلق بحق دولة كاملة السيادة تجاه فرنسا... وقد تجسدت في ثورة الأمير الأركان الأساسية للدولة. حيث كان لها إقليم جغرافي معين، وسكان يسكنون هذا الإقليم، وسيادة على هؤلاء السكان وذلك الإقليم"⁽⁶⁾.

ويرى العروي أنه مما لاشك فيه أن عبد القادر شخصية فريدة تستحق كل إعلاء وإكبار، وأن إمارته تمثل إحياء للدولة الزيانية... إذ استطاع عبد القادر أن ينظم في سنوات قليلة جيشا قويا نسبيا، وأن يسلحه ويموله بجباية شرعية ولذلك لم يخف أحد من مؤرخي المغرب الأقصى في القرن الماضي إعجابهم بهذا الجانب من التجربة رغم حكمهم السليبي على نتائجها البعيدة⁽⁷⁾.

علاقة الأمير بالمغرب:

تعود العلاقات الجزائرية المغربية إلى فترات زمنية قديمة بحكم العامل الجغرافي السياسي والاجتماعي الثقافي، وقد شهدت المغرب هجرات بشرية جزائرية مكثفة مباشرة بعد الحملة الفرنسية على الجزائر كما أن الأمير حافظ على هذه العلاقات لكسب الدعم لثورته.

البيعة والولاء:

لقد اتخذ الأمير منذ البداية لقب الخليفة" لنفسه احتراماً للسلطان مولاي عبد الرحمن كما اكتفى في أغلب الحالات بلقب "الأمير" نظراً لظروف تلك الفترة والمتمثلة في مبايعة بعض قبائل الغرب الجزائري للسلطان المغربي من جهة، محاولة الأمير جمع كلمة المسلمين من جهة ثانية. وفي هذا السياق يذكر الناصري: "...وأظهر الطاعة والانقياد للسلطان المولي عبد الرحمن وخطب به على منابر تلمسان وغيرها..."⁽⁸⁾. يؤكد ذلك صاحب الإتحاف قائلاً: "فالأمير كان يخاطب السلطان عبد الرحمن بالوالد ورسائله لا تنقطع عنه، وبعث له بالبيعة وكان يقول إنما أنا نائب عن مولانا عبد الرحمن بن هشام وأن السلطان المغربي كان يخاطبه بالولد البار"⁽⁹⁾.

أما مولاي بلحميسي فيذكر الألقاب التي استعملها الأمير وهي كالتالي⁽¹⁰⁾:

- خليفة في رسالتين بعث بهما الأمير إلى ممثله بفاس وهو الحاج طالب بن جلون بتاريخ 8 أوت و1 سبتمبر 1938.

- "أمير المؤمنين": في عدد من الرسائل التي بعثها للقائد الفرنسي دي ميشال سنة 1834 وكذا الرسائل الموجهة للقنصل الأمريكي والقنصل الإنجليزي المقيمين بطنجة في 1836.

- "السلطان": استعمله الأمير مرة واحدة في رسالته لقنصل إنجلترا بطنجة.

وفيما يلي بعض الكتابات المغربية وذكرها لألقاب الأمير من خلال المراجع المعتمدة في هاته الدراسة:

● الناصري: 37 مرة الحاج عبد القادر

● العروي: 38 مرة عبد القادر - 04 مرات: الأمير عبد القادر

● أمطاط: 28 مرة عبد القادر - 15 مرة الأمير عبد القادر

● بوزيان عمر عشرات المرات: عبد القادر - عشرات المرات: الأمير عبد القادر.

رغم مبايعة الأمير سنة 1832 فإنه كان يعتبر نفسه خليفة للسلطان عبد الرحمن ويتجلى ذلك في شتى المناسبات، ففي نوفمبر 1838 أرسل الأمير إلى السلطان المغربي الهدايا التي حصل عليها من الملك الفرنسي بمناسبة عقد صلح تافنا، باعتبار أن تلك الهدايا موجهة إلى أمير المؤمنين وهو مولاي عبد الرحمن بن هشام في نظر عبد القادر، أضف إلى ذلك أن خطب الجمعة في مساجد غرب الجزائر كانت باسم السلطان المغربي والأمير نفسه كان يدعو إلى ذلك⁽¹¹⁾، ويرجع أزان تبعية الأمير السياسية والروحية للمغرب برغبته في الحصول على المساعدة اللازمة لمواجهة تكاليف الحرب⁽¹²⁾.

وقد سبقت الإشارة إلى أن بوزيان عمر يقر بتكوين الأمير لدولة حقيقية إلا أنه يعود ويقول ونظرا لصغر المساحة ونشأة هذه الدولة الحديثة واحتياجها إلى قوة تحميها من الخطر الخارجي فإنه يمكن اعتبار دولة الأمير من الدول التابعة، حيث هناك دولة كبرى أو دولة عامة وسلطتها ملك تام وهي المغرب ودولة صغرى أو دولة خاصة وسلطتها ملك ناقص وهي دولة الأمير الناقصة السيادة⁽¹³⁾.

والجدير بالذكر أن كل الدراسات المغربية تؤكد على أن الأمير كان يعتبر نفسه نائبا عن السلطان المغربي من أجل الجهاد ضد الكفار مستشهدة بالرسائل التي كان الأمير نفسه بوجهها للسلطان عبد الرحمن. بل أن البعض منها ذهب إلى حد التشابه والتماثل الموجود بين ظروف المنطقة الغربية بالجزائر وسلطة الأمير عليها وبين المغرب الأقصى. فهذا العروي يصف تشابه الوضع في المنطقة الغربية مع بداية الحكم السعدي مما يلقي أضواء على التماثل بين منطقة وهران والمغرب الأقصى... وحتى في أسلوب كتابة الوثائق يقول بأن كتاب الأمير يستعملون عبارات لا تختلف في شيء عن الأسلوب المخزني المغربي... وأن الأمير ألغى الوظائف التي تسببت في عدة ثورات ضد الحكم العثماني وعوضها بالأعشار والزكوات، متبعا في ذلك سياسة سلطان المغرب... ويضيف أن الأمير كان يتأنق في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف على عادة الملوك المغاربة...⁽¹⁴⁾

يبدو أن العروي يحاول ربط الغرب الجزائري سياسيا و ثقافيا بالمخزن المغربي، فهو يستعمل لفظ دولة للأمير أربع مرات، وأيالة مرة واحدة، وإمارة مرتين. كما انه يستنكر عقد الأمير معاهدتي دي ميشال و التافنة، بل إنه يحكم على نتائج تجربة الأمير بالفشل دون مراعاة الظروف.

وعلى الرغم من استعراض بوزيان عمر لخلق الأمير وعدله وشجاعته وقدراته السياسية والعسكرية وتنظيماته الإدارية التي مكنته من بناء دولة حقيقية فإنه يركز على مسألة أخرى وهي أن أصل الأمير من المغرب الأقصى الأمر الذي جعله يرتبط به ويرجع إليه، ويضيف استنادا إلى ليون روش فيذكر أن نسب الأمير يرجع إلى فاطمة الزهراء زوجة علي بن أبي طالب فهو إذن قريب النسب مع العلويين بالمغرب، كما يذكر بأن جده الأول قدم من الحجاز واستقر بالمغرب الشرقي، ثم رحل أحد أحفاده (سيدي قادة بن المختار) بعد ذلك إلى غرب الجزائر واستوطنها ويستشهد بمجموعة الوثائق المغربية م 11 التي تؤكد بأنه يوجد في "تافريست" بالمغرب الشرقي ضريح السيد "عبد القوي" جد الأمير عبد القادر⁽¹⁵⁾. لكن هذا كله لا يعني أنه مغربي أو أن ولاءه لا بد وأن يكون للسلطان المغربي، وأن هذه القضية تاريخية واجتماعية وثقافية إذ معظم قبائل الغرب الجزائري ترجع اصولها الى الادارسة .

دعم المغرب للأمير:

بموازاة احتضان الدولة المغربية للمهاجرين الجزائريين عملت على دعم المقاومة خصوصا وأن قائدهم الأمير عبد القادر بويغ بصفته خليفة للسلطان المغربي بالديار الجزائرية... لذلك فإن السلطان بصفته أميرا للمؤمنين ومن منطلق التضامن الإسلامي، جعل من واجبه حماية دار الإسلام والمسلمين ومساندة الأمير عبد القادر بحكم أنه مقاوم وخليفته⁽¹⁶⁾. وهذا النصري يذكر دعم السلطان المغربي لثورة الأمير قائلا: "ولما اتصل بالسلطان المولى عبد الرحمن ما عليه الحاج عبد القادر من جهاد عدو الدين وحماية بيضة المسلمين أعجبه حاله وحسنت منزلته عنده لأنه رأى أنه قد قام بنصرة الإسلام على حين لا ناصر له فصار السلطان يمدد بالخييل والسلاح والمال المرة بعد المرة..."⁽¹⁷⁾.

يقول (Emerit): "لقد بقي المغرب الأقصى مدة طويلة دار الصناعة ومنجم الذهب للأمير"⁽¹⁸⁾، ويسهب عمر بوزيان في أطروحته في إبراز أشكال المساعدة المادية والعسكرية والسياسية الدبلوماسية التي تلقاها الأمير من المغرب ويقسمها إلى ميادين ثلاث⁽¹⁹⁾:

- **الميدان السياسي:** أن السلطان كان يثبت الأمير ويحثه على مواصلة الجهاد وباعتبار السلطان أمير المؤمنين فمن واجبه شرعا أن يدافع عن دار الإسلام المهددة. خاصة وأن إنجلترا كانت تقف إلى جانب المغرب و تتعاطف معه.

- **الميدان الدبلوماسي:** إن اتصالات الأمير الدبلوماسية مع الخارج كانت إما عن طريق بعثات خاصة، أو بعض الممثلين له في المدن الجزائرية المحتلة أو عن طريق الإدارة المغربية والقناصل الأجانب الممثلين في المغرب.

- **الميدان العسكري:** توالى الإمدادات بالأسلحة والمؤونة إلى الأمير عبد القادر سواء في شكل هبات مجانية أو في شكل تسهيلات لشراء الأسلحة من الخارج. كما اتخذ الأمير من المغرب مركزا لإقامة بعض ممثليه لإبرام صفقات تجارية وشراء الأسلحة.

المساعدة المغربية لثورة الأمير عبد القادر:

- في 1834 أهدى السلطان المغربي الأمير هدية شملت 200 بندقية وعددا كبيرا من السيوف.

- في 1836 طلب السلطان المغربي من ابنه وولي عهده مساعدة الثورة في الجزائر بثلاثين (30) قنطارا من البارود وكمية من الخفيف (الرصاص) ومائة وخمسين (150) بندقية⁽²⁰⁾.

- بعث السلطان سنة 1937 للأمير: 160 قنطارا من البارود وحوالي 1500 بندقية انجليزية وأربعة مدافع كما أن معظم الخيام التي كان الأمير يملكها جاءت إليه من المغرب. إضافة إلى كميات كبيرة من الكبريت والأحذية والسيوف والملابس⁽²¹⁾.

- بعد معاهدة التافنا تلقى الأمير من المغرب قافلة مكونة من 100 بغل محملة بالبارود مع ثمانية خيول إضافة إلى مبلغ مالي من خزينة السلطان خصصه لشراء الأسلحة وإرسالها إلى الجزائر⁽²²⁾.

- كما أن تقارير القنصل الفرنسي دumas لسنتي: 1837-1838 كانت تبرز حجم المساعدات المغربية إلى الأمير والمتمثلة في البارود وحجر النار والسيوف ورز مات الورق المقوى لصنع القربوس والمسدسات والملابس...⁽²³⁾.

وفي رسائل الأمير إلى ممثله بالمغرب الحاج الطالب بن جلون ما يدل على وجود هذه المساعدات إذ يكتبه سنة 1838 قائلا: "...إن ما بعثه لنا من البارود والأخبية وصلنا بآرك الله فيك ومتعنا بحياتك، وإذا وردت عليكم المدافع التي وعد بها مولانا نصره الله، فاسع لنا في حجرها من الكور وغير ذلك بلطافة من مولانا"⁽²⁴⁾.

إضافة إلى المساعدات غير المباشرة باعتبار المغرب كان المصدر الرئيسي لاقتناء الأسلحة من الخارج. ويؤكد تشوشل على هذا النوع من المساعدات فيذكر: "ومن المعروف أنه (الأمير) كان يحصل من المغرب على معظم أسلحته وملابسه وذخيرته لا على أنها كما يشاع خطأ هدايا فخمة ومجانية من السلطان عبد الرحمن ولكنه كان يحصل عليها بالطرق التجارية العادية... ولم ينظر سلطان المغرب إلى إقامة مملكة عربية في الجزائر بمنظار العاطفة الدينية فقط ولكن أيضا بمنظار التقدير لفوائدها التجارية..."⁽²⁵⁾.

كما نشير إلى الدعم المعنوي الذي كان يقدمه السلطان للأمير عن طريق المراسلات التي كانت بين الطرفين للتشجيع على الجهاد، أو التهنية بالانتصار أو التشاور بل وحتى لأغراض عائلية وشخصية⁽²⁶⁾، حيث يسميه السلطان في الرسائل بالولد البار، والآخر يسميه بالوالد⁽²⁷⁾ كما كان السلطان يشيد بمشروع الأمير الجهادي ويتمنى أن يكون بجانبه، ويقدم له النصائح والإرشادات التي يراها صالحة للجهاد ونصرة المقاومين⁽²⁸⁾.

أما علاقة الأمير مع المغرب، فاقترنت بذكر السلطان في خطب الجمعة والأعياد وهو ما يتأكد من إحدى رسائله للسلطات المغربية: "إننا كنا قديما في بلادنا مع كثرة جيوشنا وانتظام خزاننا بمدن

أوطاننا نخطب على منابر مساجدنا في جمعاتنا وفي أعيادنا بالدعاء لكم والإعلام بطاعتكم وما قدمنا أحد عليكم مع أن سلطان الحرمين الشريفين مكة والمدينة هو المقدم شرعا"⁽²⁹⁾.

الأمير في المغرب: عداء وفراق:

لجأ الأمير إلى المغرب منذ (نوفمبر) 1843 بعد الحرب الشاملة التي فرضها الجنرال بوجو عليه لكن السلطان المغربي حشد قواته على الحدود الشرقية لحمايتها من توغلات الأمير قبل ذلك بسنوات أي منذ 1841 ومرجع ذلك أن دور الأمير قد انتهى بوصفه زعيما للجهاد في نظر السلطان، بعدما ظهر عجزه عن مدافعة الجيوش الفرنسية، وأصبح بالعكس يهد لها الطريق للتوغل في أرض مسلمة (المغرب)⁽³⁰⁾.

لذلك كاتب السلطان جميع عمال طاعته في التضييق على الأمير ومن معه وتميزت هذه الفترة بالصراع العسكري بين قوات الأمير وجيش مولاي عبد الرحمن والذي كانت بدايته تعرض بعض الأحلاف للبوحيدي وأخذوا له الكثير من المال والإبل والغنم، فكاتبهم الأمير فلم يردوا عليه، ثم راسل قائدهم وعندما رفض هاجمهم الأمير لاسترجاع ما أخذه منه. وفي ذلك يذكر محمد السعيد: "غزونا القبائل الذي أخذ الإبل والغنم فأخذنا من أموالهم إبلا وغنما ما فيه عوض مالنا وقتل جيشنا منهم ما قرب المائة"⁽³¹⁾.

كانت تلك الحادثة بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، إذ أعلن السلطان المغربي الحرب ضد الأمير، ولعل من أهم المعارك بينهما:

- المعركة التي انتصر فيها الأمير على الجيش المغربي بقيادة الأحمر وهو أحد الأعيان والقادة الكبار المشهورين إذ هاجمه الأمير ليلا لما علم بتحركاته اتجاهه⁽³²⁾.
- المعركة التي انتصر فيها الأمير على قبائل قلعية التي كانت تنهب القوافل والمواشي ففتك بها الأمير وأذعن لطاعته وأوامره⁽³³⁾.

خلال هذه الفترة، شهدت العلاقات المغربية الفرنسية تطورات خطيرة، واتخذت من التصعيد والتهديد ما لم تعرفه من قبل. ويمكننا اختصارها في المخطات التالية:

- 1- معركة ايسلي 14 أوت 1844 وهي حرب خاطفة شنها الفرنسيون على المغرب لقطع الدعم عن الأمير، وراسل بعدها ج/ بوجو الخليفة مولاي محمد قائلا إن لعبد القادر أطماعا في مملكة أجدادكم وقد كون أتباعا وأنصارا من بين أعيان البلاد وقادتها..."⁽³⁴⁾. ويذكر الناصري ما يماثل ذلك قائلا: "قد قدمنا ما كان من فساد نية الحاج عبد القادر، وأنه رام الاستبداد بل والتملك على المغرب، فلما كانت الهزيمة بإيسلي أزداد طمعه فصار يدعو أهل النواحي إلى مبايعته والدخول في طاعته..."⁽³⁵⁾.

2- معاهدة طنجة 10 سبتمبر 1844⁽³⁶⁾

3- اتفاقية لآلا مغنية 18 مارس 1845⁽³⁷⁾

وعليه أصبح هم السلطان الوحيد هو فك الارتباط بين قبائل الشرق المغربي والأمير. فكاتب تلك القبائل لاقتناعها بالعدول عن مساندة الأمير واصفا إياه بالفساد والفتان ومنها رسالة وجهت إلى عامل العرائش بن علي بوسلهام بتاريخ 3 يناير 1845 مما جاء فيها نذكر: "ها نحن كتبنا على كل قبيلة ليحذروا مكره، وأن ليس مراده الجهاد، وإنما مراده إثارة الفتنة والفساد...وكنّا. أردنا الفراق معه على وجه جميل حيث أوى إلينا وحط برحاله بيننا. فإذا به سول له شيطانه ما فيه هلاكه وخسرانه"⁽³⁸⁾.

كما كاتّب السلطان بعض القبائل بالمضمون نفسه". "خدامنا نبي يزنايس وأهل أنكاد وفقكم الله وأرشدكم وبعد فقد بلغنا أن الأمير عبد القادر نخض في قومه ومن أنضاف إليه من إخوانكم الذي استنفرهم وخذعهم بتمويهه وإبطاله... وما مراده إلا إثارة الفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين...وقد خدعكم باء ظهار الدين وأحوال الصالحين وما في ضميره إلا الفساد وإيقاد الفتنة بعد إطفائها..."⁽³⁹⁾.

بعد ذلك أصبح السلطان يستعجل إنهاء وجود الأمير في المغرب، وهياً جيشاً مكوناً من 15 ألف جندي بقيادة خليفته سيدي محمد، وجيشاً آخر بقيادة أخيه المولى أحمد، ولما أحس الأمير بذلك حاول استغلال وساطة بعض الشرفاء والعلماء ثم بعث وفدا برئاسة البوحيمدي للتعبير عن طاعته وحسن نيته، فكان الجواب أن يختار الدخول إلى المغرب آمناً أو يخرج عن تراب المملكة⁽⁴⁰⁾.

لقد راسل الأمير الشيخ عlish بشأن خلافه مع سلطان المغرب لاسيما بعد أن تمادى السلطان في التجريح وبات يطعن في شرعية جهاد الأمير واصفا إياه بالبداع، المشؤوم، الفاسد، الفتان... وكان جواب الشيخ أن استنكر ما قام به السلطان وساند الأمير⁽⁴¹⁾.

ثم انتقل جند سلطان المغرب إلى منطقة "سلوان" ووقعت معركة بينهم وبين قوات الأمير، طارده بعدها جل قبائل المغرب الشرقي، وأخذت أوضاع الأمير تسوء فاستحال عليه متابعة جهاده لقلة عديد رجاله واشتراك القوات الفرنسية والمغربية معاً لملاحقته وتعقب دائرته⁽⁴²⁾ مما دفعه إلى توقيف الثورة وطلب الأمان من فرنسا.

استغرب السلطان المغربي صنيع الأمير هذا وفي ذلك يقول مجاوبا عماله الدين اعلموه بذلك: "فقد وصلنا كتابك في شأن إلقاء الفتان نفسه لعدو الدين الفرنضيص، وكنا نظن أن معه من العلم والدين ما

يرده عن ارتكاب هذه الكبيرة حتى اختار ذمة الكفرة عبدة الأصنام على ملة الإسلام، فهذا من سوء الخاتمة والعياذ بالله⁽⁴³⁾.

احتفل المغرب بالحدث الذي كان يعتبره نهاية لمشاكله و في هذا السياق يذكر محمد امطاط انتقل خبر انهزام الأمير واستسلامه إلى مجموع مناطق المغرب وقرء الأمر الشريف بمساجد المغرب وزينت أسواق المسلمين وأخرجت المدافع بالأبراج سرورا بالفتح المبين⁽⁴⁴⁾.

سبب تغير العلاقة بين الأمير والسلطان.

ما جوهر الخلاف وتغير العلاقة بين الأمير والسلطان؟

لماذا هذا التبدل والتغير في علاقتهما ببعضهما البعض؟ من الدعم والتشجيع إلى العداء والفراق؟

لماذا تحول الابن البار⁽⁴⁵⁾ إلى الفاسد الفتان، البداع، المشؤوم⁽⁴⁶⁾....؟

نعتقد أن سبب الخلاف بين الطرفين يعود إلى مسألتين على الأقل:

الأولى: سمعة الأمير وحب الناس له:

إذ أن تواجد الأمير بالناحية الشرقية من المغرب كان له تأثيرا إيجابيا على قبائل المنطقة. فانتشر صيته وأحبه الناس لفضيلة الجهاد الشيء الذي أدى إلى تخوف السلطان من الأمير على العرش أو أن ذلك كان حسدا من السلطان للأمير الذي قد ينافسه على السلطة. وعن ذلك يذكر محمد السعيد: "...ثم توضع له المحبة في الأرض فحسده سلطان المغرب لذلك، وخشي منه على أرضه وإيالته مع أنه لم يكن له قصد إلا السكنى بتلك الأراضي حتى يفتح الله أو يأتي بأمر من عنده"⁽⁴⁷⁾. فالأمير لجأ إلى المغرب باعتباره دار الإسلام، وليجعل من الأراضي المغربية قاعدة خلفية له ولمقاومته.

الثانية: دور الدعاية والإشاعات الفرنسية الأوروبية:

إن دور فرنسا في سوء علاقة السلطان بالأمير أكيد، وذلك بعد الانتصارات التي حققها الأمير ضدها على الحدود الجزائرية المغربية، وزاد من تخوفها انضمام بعض القبائل المغربية للأمير في مقاومته إضافة إلى دور ليون روش الذي بمجرد وصوله إلى الرباط، توصل إلى إقناع مولاي عبد الرحمن بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه حتى أن السلطان اعتبر الأمير هو السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه⁽⁴⁸⁾.

الخلاصة

إن العلاقة بين السلطان المغربي والأمير شهدت نوع من التجاذب بين الدراسات والكتابات المغربية من جهة ومثيلتها الجزائرية من ناحية أخرى.

ففي الوقت الذي تؤكد فيه الأولى أن الأمير رفض وضع تجربته ونفوذه تحت تصرف السلطان المغربي، وما كان لهذا الأخير أن يقبل بأي وضع آخر. بل أنه كانت للأمير أطماعا توسعية في الأراضي المغربية أو على الأقل منافسة السلطان هناك، خاصة بعد انتصاره على جيش القائد الأحمر، ومهاجمته لقبائل الأحلاف والقلعية...

وبالرغم من أن هذه الكتابات تدافع على موقف السلطان المغربي الذي حارب الأمير لإخراجه من الأراضي المغربية بعد التهديدات الفرنسية، أنه كان لحقن دماء المسلمين أي منع حرب فرنسية مغربية. في نفس الوقت نلاحظ الكتابات الجزائرية تضع اللوم والعتاب على السلطان المغربي الذي كان عليه بل من واجبه شرعا الاستمرار في دعم ومساندة الأمير وثورته باعتباره أمير المؤمنين. وتدافع عن الأمير الذي لجأ إلى المغرب باعتباره دار الإسلام وأنه لم تكن له أطماعا توسعية على حساب أراضيه، كما تقلل من شأن المساعدات التي تلقاها الأمير من السلطان وتحصرها في تسهيلات قدمها المغرب للأمير لشراء الأسلحة والماشية، والمؤونة والأليسة...

ويبدو أن الأمير حاول إشراك المغرب في حربه ضد فرنسا بدافع التضامن الإسلامي، لكن السلطان المغربي عمل على توفير الأمن لشعبه ولا استقرار لبلاده ولو مؤقتة. إذ نلاحظ فرنسا تفرض الحماية على المغرب في 1912 بعد تفرغها من المقاومات الشعبية الجزائرية. أما عن موقف السلطان هذا والذي نحاله موقف ذاتي فنرجعه إلى تخوفه على عرشه، وأنه ما وصف به الأمير آنذاك راجع للأوضاع المضطربة والفترة الحرجة التي كانت تعيشها المنطقة عامة.

الإحالات

- 1- أهم هذه القبائل، قبائل سهل غريس، بنو شقران، بنو غدوة، سحرارة، قبائل العطاف، سنجاس، بنو قصير، مرابطو بجاية وصبيح، بنو خويدم، بنو العباس، قبائل فليته، المكاحلية، مجاهر، البرجية، الدواير، الزمالة، الغاربة، اليعقوبية.
- 2- علي تابلت: الأمير عبد القادر مسيرة نصف قرن من الكفاح المستميت، مجلة أول نوفمبر العددان: 151-152 السنة 1997. ص 26.
- 3- راجع محمد السعيد، حياة أسرة الأمير عبد القادر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية عن حساني مختار أعمال ملتقى الأمير لسنة 1998.
- 4- بوزيان عمر، علاقة المغرب مع ثورة الأمير عبد القادر الجزائري 1832-1845 رسالة دبلوم الدراسات المعمقة في القانون، جامعة الدار البيضاء 1982 ص، ص: 66-67.
- 5- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي: 2009، ص، ص 535-536.
- 6- بوزيان عمر، علاقة المغرب مع ثورة الأمير عبد القادر 1832-1982 المرجع السابق. ص 65.
- 7- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص، ص: 539-540.
- 8- الناصري: السلاوي، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، م3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007 ص 297.
- 9- عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، الرباط، المطبعة الوطنية، ص 67.
- 10- مولاي بلحميسسي، الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن من الألفة والوثام إلى الجفوة والخصام، أعمال الملتقى الأمير عبد القادر، الجزائر، دار الحكمة، 1998، ص 65.
- 11- بوزيان عمر، المرجع السابق، ص 82.
- 12- AZan P L'Emir Abdelkader, Paris, Hachette : 1925. P 142.
- 13- بوزيان عمر، المرجع السابق، ص 87.
- 14- عبد الله العروي، المرجع السابق، ص، ص: 535-537.
- 15- بوزيان عمر: المرجع السابق: ص 66.
- 16- محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 الرباط، دار أبي الرقاق، 2008- ص 54.
- 17- الناصري، المصدر السابق، ص: 299.
- 18- Emérite. M. Le conflit franco- marocain de 1844 d'après les nattes de warnier, R, A N°94 Année 1950- P : 399.425.
- 19- أنظر رسالة بوزيان عمر، مرجع سابق الذكر.

- 20- عبد الرحمن ابن زيدان، المصدر السابق، ص:39.
- 21- Emérite. M. L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, paris, larose, 1951- P 275.
- 22- الحجوي محمد، اختصار الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن ابن هشام مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم:ح 114، ورقة:420.
- 23- عمر بوزيان، المرجع السابق، ص:ص: 92-93.
- 24- Géorges, yver : Abdekader et le Maroc en 1838- R AN° 60. Année 1919 P :94.
- 25- شالز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، عالم المعرفة: 2009. ص: ص: 253-285.
- 26- راجع رسالة عمر بوزيان، مرجع سابق.
- 27- الحجوي محمد: المصدر السابق، ص420.
- 28- راجع ابن زيدان: الاتحاف، ص67.
- 29- مصطفى ابن تهمي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق، يحي بوعزيز بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995- ص165.
- 30- محمد أمطاط، المرجع السابق، ص195. راجع كذلك: العروي: مرجع سابق.
- 31- حساني مختار، العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن أعمال ملتقى الأمير عبد القادر الجزائر، دار الحكمة، 1998، ص32.
- 32- محمد أمطاط، المرجع السابق، ص63- أديب حرب، ص569.
- 33- أنظر، تحفة الزائر، أديب حرب، ص569.
- 34- رسالة بتاريخ 16 أوت 1844.
- 35- الناصري: المصدر السابق، ص308.
- 36- راجع الملحق رقم 01.
- 37- راجع الملحق رقم:02.
- 38- مديرية الوثائق المغربية، ملف الجزائر.
- 39- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر شرح وتعليق، ممدوح حقي، ط2، ج01، بيروت دار اليقظة العربية، 1964، ص ص 487-489.
- 40- لمزيد من المعلومات، أنظر، الناصري، التحفة.
- 41- راجع نص الرسالة في الملحق رقم 03.

- 42- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ص، 570.
- 43- من السلطان المغربي إلى بوسلهم رسالة بتاريخ 03 جانفي 1848 م وم ملف الجزائر.
- 44- محمد أمطاط، المرجع السابق، ص64.
- 45- الابن البار: وجود رابطة دموية وأسرية وعاطفية فالسلطان المغربي كان يسند إليه الأمير. ابننا البار: فيها تكريم وتشريف في التقريب إليه.
- البار: عادة ما تطلق على الولد البار بولديه، وفي ذلك زيادة في التقريب والتكريم والتشريف.
- فالملاحظ أن السلطان كان يفتخر بالأمير ويعتز.
- 46- الفاسد: الفساد: عكس الصلح- ومعناه تضييع أمور الدنيا والدين.
- الفتان: كثير الفتنة والفرقة بين وحدة المسلمين.
- 47- أنظر مخطوط محمد السعيد عن حساني مختار، مرجع سابق.
- 48- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990- ص56.

التي فرضتها فرنسا على المغرب، وتنص على ضرورة طرد الأمير عبد القادر من المغرب ومنعه من مواصلة الجهاد انطلاقاً من حدوده وبعبارة أخرى التخلص من الأمير بحيث سوف يغادر المغرب إلى الجزائر.

ولعل من أهم ما نصت عليه والمتعلق بثورة الأمير نذكر:

الشرط الثاني: هو أن يأمر سلطان المغرب بالمعاقبة لقواده الذي حاربونا أو تركوا من يحاربونا في إيالتنا في وقت الصلح، وتعدوا على جيش الفرنضيص.

الشرط الثالث: هو أن سلطان مراكش يتضمن بأنه لا يأمر بإعانة أحد من رعييتنا الذي يقوم علينا وكذلك لا يعين أحدا ممن هو من أعدائنا في بلدنا ولا بموطن ولا يترك من يعطي من آل رعيته لعدونا سلاحاً ولا شيئاً من آلات الحرب.

الشرط الرابع: فالحاج عبد القادر بن محي الدين هو خارج عن حكم الشريعة في إيالة المغرب وإيالة الجزائر فعلى ذلك يضربون عليه في بلادهم وكذلك إذا هو في إيالة سلطان مراكش فرعيته يضربون عليه بالبارود حتى يطردونه ويخرجونه من بلادهم، وإذا تقبض به واحد من الجانبين فإذا كان من تحت يدي الفرنضيص فيتضمن سلطان فرائضة بأنه يتكرم عليه ولا يضره وإذا كان تحت يدي جيش السلطان المغربي فيأمر بإرساله إلى مدينة من مدائن السواحل من نواحي المغرب حتى يصير بين الدولتين الاتفاق في شأنه لئلا يتجدد من جهته الحرب مرة أخرى معنا وكذلك لئلا يقطع الصلح مع المهادنة المقيمين بين الدولتين.

وتتعلق برسم الحدود المغربية الجزائرية والتي ستشكل عنصر توتر وخلافات وأزمات بين البلدين، مازالت تداعياته حاضرة في المغرب الحاضر، وفي جزائر اليوم.

الشرط السابع: إن جميع من التجأ من رعية الفريقين إلى الآخر فلا يرده من التجأ إليه لموضعه حيث أراد البقاء بملتجأه وإلا فمن أراد الرجوع لموضعه فلا يتعرض له عامل ولا غيره وحيث عزم على البقاء فيبقى تحت حكم عامل المكان الملتجأ إليه، ويكون آمنا في نفسه وماله احتراماً من السلطانيين بعضهما بعضاً، وهذا الشرط لا تدخل فيه القبائل الذين عمالتهم مبنية في الشرط أعلاه وغير خافي أن الحاج عبد القادر ومن في حزبه غير داخل في هذا الشرط لأن دخوله فيه موجب لبطلان الشرط الرابع في مکتوب الصلح المبرم 10 سبتمبر 1844. (معاهدة طنجة).

رسالة الأمير عبد القادر إلى الشيخ عليش مفتي المالكية بالديار المصرية بشأن خلافه مع سلطان المغرب:

وهي استفتاء شرعي لمعرفة حكم الدين في مواقف خصمه السلطان
 "... فإذا سلطان المغرب يفعل بنا الأفاعيل التي تقوي الكافر على الإسلام وتضعفنا وأضرت بنا
 الضرر الكثير، فأولما فعل بنا أننا لما كنا حاصرنا الكافر في جميع ثغوره نحوا من ثلاث سنين وقطعنا عليه
 السبل ومادة البر من الحب والحيوان وغيرهما، تضيقا عليه وتضعيفا له... فإن السلطان المذكور أمدهم
 وهم في الضيق الشديد بألوف من البقر وغيرها.
 وأنه غصب من عاملنا ألفا وخمسمائة بندقية إنجليزية.
 أنه غصب من وكيلنا أربعمائة كسوة جوخ أعدناها للمجاهدين
 أن بعض المحبين في الله ورسوله من رعيته قطع من ماله الخاص به ليعين المجاهدين فإذا بالسلطان
 المذكور زجره ونزعها منه وقال أنا أحق بها والحال أنه لم يجاهد.
 أن بعض القبائل من رعيته عزموا على إعانتنا بأنفسهم في سبيل الله فمنعهم من ذلك وأعاننا آخر
 من رعيته بسيفوف في سبيل الله فحبسه إلا الآن زاجرا له وردعا لغيره
 أنه لما وقعت لهذا السلطان مقاتلة مع الفرنسيين أياما قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيين أنه
 لا يتم الصلح بينهما إى إذا حل أمر هذه العصاة المحمدية المجاهدين، ويقبض رئيسهم، إما أن يحبسه
 طول عمره، وإما أن يقتله وإما أن يمكنه من يد الفرنسيين أو يجليه من الأرض فأجابه السلطان إلى ذلك
 كله، ثم أمرني بترك الجهاد فأبيت لأنه ليس له علي ولاية، ولا أنا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيل
 حتى هام جوعا من لم يجد صبرا وأسقط من المجاهدين ركننا، ثم أخذ يسعى في قبضتي فحفظني الله منه...
 ثم أمر بعض القبائل من رعيته أن يقتلونا ويأخذوا أموالنا... فأبوا خبراهم الله خيرا".
 عشراي سليمان الأمير عبد القادر السياسي، ص، ص: 310.311.